

كان ابن السعود في سنواته الأولى في عزلة تامة عن العالم الخارجي لم يهتم إلا بقتال ابن الرشيد وتقوية مركزه في الأماكن التي استولى عليها ولكنه في سنة ١٩٠٤ وجد خصماً آخر قوياً وهو الأتراك ، ونجم صديقهم ابن الرشيد قد أخذ في الأقول دخلوا ميدان النزاع مؤيدين لصديقهم وهم يرون في آل سعود عامة العداوة القديمة فرأى ابن السعود أن يتصل بالحكومة البريطانية لعلها تتدخل في إيقاف الأتراك من التدخل في منازعات الجزيرة . فأرسل كتاباً للسير برسي كوكس بتاريخ (٢) مايو سنة ١٩٠٤) يحتج على تدخل الأتراك وإرسالهم القوات المسلحة لمساعدة ابن الرشيد (1) وفي الوقت نفسه استلم السير برسي كوكس كتاباً آخر من الشيخ مبارك أمير الكويت مرسل من الأمير عبد المعزى إلى الشيخ مبارك يلوح له فيه بأنه إذا لم يجد عضداً وتأييداً الحكومة البريطانية ضد الأتراك فإنه يضطر لقبول مساعدة الروس الذين عرضوا عليه مساعدتهم منذ سنة ١٩٠٣ من فينما هي لا تريد أن ترج بنفسها في التدخل في شؤون الجزيرة ومنازعاتها فإنها لم تكن تنظر بعين الارتياح إلى تدخل الأتراك في قلب الجزيرة وتهديدهم لأمير الكويت ، ولذا فقد قررت أن تعين الكبتن نويس وكيلاً سياسياً لها بالكويت سنة ١٩٠٤ ليكون على كتب من مجرى الحوادث وليحيط حكومته بحقيقة ما يقع في الجزيرة من حوادث مع البقاء على الحياد في منازعات ابن الرشيد وابن السعود ، وإن كانت في الحقيقة تعطف على حركة ابن سعود ثانياً - أن التفاهم مع الأمير سيزيل الشكوك والخوف من نفس سلطان مسقط وأمراء السواحل الأخرى ويعمل على تحسين العلاقات مع هؤلاء الأخيرين ثالثاً - أن مساعدة ابن مسعود ستساعدنا على وضع حد للقرصنة في شمال الخليج . رابعاً - تبدو القرآن بأن تدخل الأتراك في شؤون أواسط بلاد العرب سيدعوا إلى توحيد كلمة القبائل تحت زعامة ابن سعود ، فإذا لم تساعدنا وتعاوضهم فمن المحتمل أن يلجأوا إلى طلب المعونة والتعاضد من غيرنا أضف إلى ذلك أن مثل هذا التدخل قد يدعو إلى تعكير صفو العلاقات بينهم وبين الأتراك. فالى أن يتم التفاهم مع روسيا على إيران ومع تركيا وألمانيا على خط سكة حديد بغداد ، كان رأى الخارجية البريطانية هو الابتعاد عن الزج بنفسها في مشاكل أواسط بلاد العرب . واقد كان السير برسي كوكس هو السياسي البريطاني الوحيد الذي رأى يثاقب نظره أن القدر قد كتب في لوحته أن الأمير عبد العزيز سيكون القوة السياسية المحركة الوحيدة اشته الجزيرة بأجمعها ، كان يسعى بكل جهده لربط الملائق الودية الحسنة مع هذا السياسي الداهية والقائد الفاتح العظيم . وفى أكتوبر سنة ١٩٠٦ أرسل الأمير عبد العزيز كتاباً إلى الشيخ قاسم بن ثاني شيخ . ومنذ ذلك الحين أخذ مركز ابن سعود بتوطد و يزداد قوة ومنعة حتى أصبحت ترتجف لذكر اسمه قلوب أمراء السواحل ففي أوائل سنة ١٩٠٦ كتب لبعض أمراء السواحل يخبرهم بعزمه على زيارة بلادهم في الربيع فارتعدت فرائصهم وتشاوروا فيما بينهم ، وقرّ الرأى بين شيخ أبو ضي و سلطان مسقط على أن يرضعوا مخاوفهم إلى السير برسي كوكس الذى بدوره كتب إلى الكبتن نويس يسأله أن يجس نبض الشيخ مبارك عن نيات صديقه الأمير عبد العزيز وأن يرسل إليه النصيحة بالابتعاد والكف عن التدخل في شؤون الولايات العربية الخاضعة للنفوذ البريطاني . وفى نفس الوقت الذى كان يحس فيه الكبتن نويس نبض الشيخ مبارك وصل إلى البحرين رسول من الأمير عبد العزيز إلى الكبتن بريدكس وأخبره بأن الأمير أصبح يعتقد بأن في إمكانه طرد الأتراك من ولاية الاحساء وأنه يرغب في أن يعتقد محالفة مع الحكومة البريطانية وأنه لا يرى ماتماً من قبول وكيل بريطاني في الاحساء أو القطيف على شرط أن تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها حمايته ضد الأتراك وانتهى الأمير يقتل ابن الرشيد في شهر أبريل سنة ١٩٠٦ ، وامتد نفوذ الأمير عبد العزيز في دخل البلاد العربية . وأصبح الأمير صاحب الكلمة الأولى . ففي يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ أرسل السير برسي كوكس برقية إلى حكومة الهند أوضح لها فيها المزايا الكبيرة التي تستفاد من وضع سياسة ثانية التفاهم مع الأمير أولاً - أن تجاهل ما عرضه فى عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ربما يدعو ترى حكومة جلالة الملك استحالة التعهد بها فإنها لا ترى ضرورة لإرسال رد عليها . هذا الحمد توقفت المخابرات بهذا الصدد لم يفكر ابن سعود بعد ذلك في أمر تأسيس علاقاته مع الحكومة البريطانية . وفي شهر مايو سنة ١٩١٣ هجم ابن سعود على الهفوف فاحتلها وأرسل أسرى الترك إلى الساحل ثم أعقب ذلك باحتلاله القطيف والمقير فتقهقر الترك إلى البحرين ، وصلتهم إمدادات جديدة فحملوا على ابن مسعود في العقير، فكتب إلى السير برسي كوكس يحتج على هذا العمل ويطلب إليهم مرة أخرى تأسيس علاقات ودية معه . ورجا ابن سعود السير برسي في آخر كتابه أن يخبره بصراحة من نياته حتى يعرف موقفه منهم تماماً وليتخير الطريق الأحسن الحماية مصالحه وهنا يقول ابن مسعود إن البريطانيين تدخلوا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على إقليم الإحساء وأن الأتراك أرسلوا إليه وفداً فقدوا معه معاهدة حددوا فيها موقعهم من ابن سعود لأن الحكومة البريطانية فضلت الانتظار ربما ينجلي الموقف في سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، فرأى السير برسي كوكس أن هذه خير فرصة التفاهم مع ابن السعود ويقول السير برسي إن الذى حمل البريطانيين على ذلك هو الظروف التي كانت محيطة بالبريطانيين

فجناحهم الأيسر في الحملة العراقية كان معرضاً لحمالات البدو ، ولذا فقد أسرع السير برسي كوكس إلى مقابلة ابن سعود حيث غادر البصرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ حيث وصل في ٢٦ ديسمبر وقابل الأمير عبد العزيز لا يرى الأمير مانعا من قبول ممثل للحكومة البريطانية في بلاطه . وقد ذكر الأمير في كتابه أيضا أنه لا ينوى تنفيذ عزمه قبل مضي أربع أو خمس سنوات : وقد أبلغ السير برسي كوكس مضمون رسالة الأمير إلى حكومة الهند وشفعها ملحا بضرورة تفويضه بالإجابة على رسالة الأمير لئلا يعتبر الأمير عدم الرد مجافاة له أو إغضاء من شأنه شأن الأمراء الآخرين الذين جاءت كتبه بواسطتهم وفي ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ كتبت وزارة المهند لحكومة الهند تستنير برأيها في صيغة الرد الذي سيرسل إلى الأمير عبد العزيز. وبعد استشارة السير برسي كوكس اقترحت حكومة الهند أن يكون الرد إلى الأمير كآتي : مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق الملائق الودية مع الأمير طالما هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع أمراء الشاطئ " فإنها لا ترى أى ضرورة في الوقت الحاضر لإعطائه أن ذلك قد يحرص الحكومة التركية على مناوئته وأعقبت حكومة الهند ذلك بمذكرة تفصيلية استعرضت فيها الحالة في قلب الجزيرة وذكرت أنها على يقين من أن عاصفة آخذة الآن في الهبوب على قلب الجزيرة وأنه لا بد الحكومة البريطانية أن تكون لها رأيا وسياسة معينة إزاء التقلبات المنتظرة . (وأن المسألة هي مسألة وقت فقط) قبل أن ينهار ملك الأتراك لا في شرق الجزيرة فحسب بل في الجزيرة كلها فإذا ما بقى الوهابيون ملكهم على أنقاض ملك الأتراك فانهم في الغالب سيهددون المصالح البريطانية في الكويت وفي إمارات الشامي. ولكن لما استشارت وزارة الخارجية السفير البريطاني في الأستانة (السير نيكولاس أو كونور) فإنه نصحها بالابتعاد كلية عن التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية ، وعليه فقد أخبرت وزارة الهند حكومة الهند بأنها لا توافق على صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز لأنه يوافق ضمينا على تركيز سلطة الوهابيين ، وقالت إذا كان ولا بد للسير برسي كوكس أن يعطى جوابا فله أن يقول لوسطاء الأمير بما أن كتب الأمير جاءت باقتراحات ابن سعود لأول مرة فأعجب كل منهما بالآخر ولم يخب ظن أحدهما في الآخر وبعد أحاديث ودية شتى أمضى الفريقان معاهدة صداقة بين ابن سعود وبين. من الفرص المتوالية على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٣٧ حيث اعترف له بالاستقلال التام وبمخابرة الدول والاتفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده بعد ما كان محروماً من